

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أهل البيت عليهم السلام
جامعة أهل البيت ع
جامعة أهل البيت عليهم السلام
بوابة البحوث
http://abu.edu.iq

`

الدكتور صالح احمد العلي
ودوره في التحقيق والمنهج التاريخي

Dr. Saleh Ahmad al Ali and His role in the Historical Materialization and Historical Approach

م.م. الاء عبد الكاظم جبار[1]
Ass. Inst. Alae Abd al-Kadhom

الخلاصة

يعد المؤرخ الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي احد رواد التحقيق والكتابة التاريخية في العراق, وقد ذاع صيته ليس في الجامعات العراقية فحسب، بل في الاقطار العربية وجامعاتها, وعرف عنه انه افضل من حقق في المخطوطات والكتب وكذلك بكتاباته الرصينة وفق المنهج العلمي الاكاديمي المستند الى التحليل والاستنتاج والاستنباط وربط الاحداث بعضها مع بعض، منطلقا من الجزئيات وصولا نحو الكليات، وفي اعماله البحثية ومؤلفاته التاريخية اضافة علمية نوعية في البحث العلمي الاكاديمي فيما يتعلق باختصاصه، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، وقد تبوأ مواقع علمية عدة أبرزها، رئاسة المجمع العلمي العراقي، ودرس عليه رعيل واسع من طلبة العلم، وما تزال مؤلفاته وبحوثه تعد معين لطلبة العلم ودارسيه، وهو ذو الاسلوب السلس والممتلئ علمياً , اذ ان كتاباته تشعر المتلقي بامتلائه بالعلم الوفير وامتلاكه ناصية واسعة من ادوات البحث العلمي والتي تمكن من توظيفها في البناء والمنجز البحثي العلمي في تلاوين تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ومرحلة ما قبل الاسلام.

Abastarct

The professor ،Dr. Saleh Ahmed Ali of the most prominent figures Academy Iraq that contributed to the enrichment of the National Library Moundz scientific history, in terms of the investigation (manuscripts and

---

١ –جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

books) ‹books ‹research, and active participation in seminars and conferences ‹or the various activities ‹has benefited from his research that successive generations of historians ‹one of the the most important Arab historians of the twentieth century ‹as it combines some ‹a model of a . d . Abdul Aziz al-Douri ‹so the research and studies need to study continuous and consecutive being in its entirety pilot done ‹as a pioneer of the first generation of Arab historians modernists ‹and will continue its work and studies scientific references constitute a clear methodology ‹in rewriting the history of the Arab Muslim ‹a pioneer in the field of investigation and authorship .

مقدمة

يعد الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي من ابرز الشخصيات الاكاديمية العراقية التي اسهمت في اثراء المكتبة الوطنية بالمنجز العلمي التاريخي، على صعيد التحقيق (المخطوطات والكتب) والمؤلفات والبحث والمشاركات الفعالة في الندوات والمؤتمرات او الانشطة المختلفة، وقد استفادت من ابحاثه اجيال متعاقبة من المؤرخين، وهو احد اهم المؤرخين العرب في القرن العشرين، كما يجمع البعض عليه، وهو من طراز المؤرخ أ.د. عبد العزيز الدوري، لذلك فإن أبحاثه ودراساته تحتاج الى دراسة مستمرة ومتتالية كونها في مجملها ريادية المنجز، بوصفه رائدا من الجيل الاول للمؤرخين العرب المحدثين، وستظل مؤلفاته ودراساته مراجع علمية تشكل منهجية واضحة، في اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي، وهو الرائد في مجال التحقيق والتاليف.

ان الجامعات ومراكز الدراسة التي قضى بها مدة من الزمن والمناصب التي شغلها, والندوات والحلقات والمؤتمرات التي شارك فيها وأسهم بفاعلية في مسارها، عزز كل ذلك علاقاته كباحث ومؤرخ ومحقق مجتهد بعدد كبير ممن اسهموا في كتابة تاريخنا المعاصر.

وقد زامل في حياته المع رجال السياسة والاقتصاد والعلوم مثلما تتلمذ على يد خيرة الاساتذة اذ يذكر فضلهم العلمي وجهدهم وتميزهم وتاثره بهم.

وتناول هذا البحث القاء المزيد من الضوء على حياة الدكتور صالح احمد العلي ودوره في التحقيق، وكذلك طروحاته في مجال البحث التاريخي، وجهوده العلمية في تخريج الدفعات من طلبة الدراسات العليا، واصدار المؤلفات التاريخية، كونه ابرز المؤرخين في العراق خلال القرن العشرين.

المطلب الاول: ولادته ونشأته

ولد صالح احمد العلي في مدينة الموصل في عام ١٩١٨ وأنهى دراسته الابتدائية والمتوسطة، ودرس في دار المعلمين الابتدائية وتخرج فيها سنة ١٩٣٧، مارس التعليم الابتدائي لمدة سنتين والتحق بدار المعلمين

العالية سنة ١٩٣٩ ونال الليسانس في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٤٣ والتحق بكلية الاداب، جامعة القاهرة، وحصل على الليسانس في التاريخ بدرجة الشرف، منح جائزة جلال صادق التي تمنح للمتخرج الاول سنة ١٩٤٥ والتحق بجامعة اكسفورد في بريطانيا نال فيها شهادة الدكتوراه سنة ١٩٤٩ وعين مدرسا في كلية الاداب والعلوم في جامعة بغداد سنة ١٩٤٩ ورقي الى استاذ مساعد سنة ١٩٥١ والى مرتبة استاذ سنة ١٩٥٥، وحصل على تفرغ علمي لمدة سنة في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة، واصبح عميدا لمعهد الدراسات الاسلامية بجامعة بغداد، للفترة بين سنتي ١٩٦٣–١٩٦٨ وعضوا في المجمع العلمي، ورئيسا للمجمع العلمي سنة ١٩٧٨ الى سنة ١٩٩٥.[٢] واختير عضوا في المجاميع العلمية العربية، وعضوا في الجمعية الاركيولوجية في الهند, وعضوا في المعهد الاسباني العربي في مدريد، وشارك في عدد كبير من اللجان المشكلة في العراق لبحث شؤون تدريس التاريخ العراقي وفي جميع الندوات والمؤتمرات التاريخية التي نظمت في العراق، ومعظم مؤتمرات التاريخ والاستشراق في دول العالم، وقد ترجمت مؤلفاته الى لغات عدة منها:– الانكليزية واليابانية، وعرف باهتمامه بتاريخ الاسلام والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربي، وقد بدا اهتمامه هذا منذ كان طالبا، وظهرت مقالاته في المجلة الموصلية سنة ١٩٣٩، وراس مركز احياء التراث العربي وكالة بين سنتي ١٩٨٠–١٩٨٢. [٣] واشرف على اكثر من ثلاثين رسالة ماجستير واطروحة دكتوراه له ما يزيد عن (١٧٠) مقالة ودراسة واكثر من (٢٥) كتابا مؤلفا، ومن الاساتذة الذين اشرف عليهم في الماجستير والدكتوراه كل من:– خالد العسلي، عبد الجبار ناجي، عماد الدين خليل، صلاح الدين امين، نزار عبد اللطيف الحديثي، يوسف جرجيس، وغيرهم [٤] ممن كان يستقبلهم في مكتبه بالمجمع العلمي العراقي ويناقشهم في تفاصيل البحث والمنهج العلمي ويبدي اراءه وملاحظاته العلمية, [٥] توفي عام ٢٠٠٣.

المطلب الثاني: صالح احمد العلي ومنهجه في التحقيق:-

التزم الدكتور صالح احمد العلي بالقواعد العامة للتحقيق[٦]، ويعتبر من احد اقطاب التحقيق في العراق، اذ حقق العديد من الكتب، وسنتناول احداها لكي نتعرف على طريقته في التحقيق واهم الكتب التي حققها.

تحقيق كتاب (البلدان) للجاحظ [٧]

---

٢ –من الكلمة التي قيلت بحق الدكتور احمد صالح العلي لنيله جائزة السلطان لن علي العويس الثقافية سنة ١٩٩١, بدبي , انظر, حميد المطبعي , المؤرخ صالح احمد العلي , سلسلة علماء الحكمة , (بغداد, ٢٠٠٢) , ص١٧.

٣ –عمر طالب , موسوعة اعلام الموصل في القرن العشرين , اصدار مركز دراسات الموصل , (الموصل, ٢٠٠٨) ,ص٢٥٤.

٤ –المطبعي , المصدر السابق , ص١٠١.

٥ –انظر , ناصر عبد الرزاق الملا جاسم , المؤرخ صالح احمد العلي , رحلة التاسيس لمنهج أكاديمي لدراسة التاريخ العربي, (بيروت, ٢٠١٠) ص ص٩–١٠.

٦ –للاطلاع على القواعد العامة للتحقيق ينظر: صلاح الدين المنجد, قواعد تحقيق المخطوطات, دار الكتاب الجديد , ط٧, بيروت , ١٩٨٧.

٧ –ينظر: د.صالح احمد العلي , مقدمة المحقق لكتاب البلدان لعمر بن بحر الجاحظ, مجلة الاداب , مطبعة الحكومة , بغداد , ١٩٧٠.

تالفت المقدمة من ٢٣ صفحة .

يبين الدكتور العلي في مقدمة الكتاب، فضل الجاحظ ويصف الثروة الفكرية العظيمة التي تركها، لذا فتراثه الجدير بالتتبع والتحقيق،ويسترسل واصفا اسلوبه الادبي، واطروحاته المهمة التي كان يقدمها مصحوبة بالطرفة، ثم يعرج على ذكر عدد مؤلفاته ويبين الاسباب في معرفة الرقم الحقيقي لها اما من تحليله اللطيف حين يحاول ان يصف ملامح من شخصية الجاحظ من خلال مؤلفاته، فيصفه بانه كان انسانيا واجتماعيا، لا بل حتى في المؤلفات التي تحمل عناوين بعيدة من القضايا الاجتماعية، نراه يقتحم الجانب الاجتماعي فيها . ثم يذكر الطريقة التي اهتدى بها الى الكتاب، حين وردت اشارات في بعض الكتب تذكر ان الجاحظ قد الف في البلدان، ومما يجدر ذكره بأن المؤرخين اختلفوا في اسمه، فقد اورده ياقوت الحموي في (ارشاد الاديب)، في معجم البلدان، وذكره المسعودي في مروج الذهب، والمقدسي وابن حوقل، لكنهم اختلفوا في التسمية، بينما ذهب بروكلمان الى ان للجاحظ كتابين في الجغرافيا[٨].

على مدى ثلاث صفحات يحاول الدكتور العلي ان يثبت نسبة الكتاب للجاحظ وعدد النسخ المتوفرة من هذا الكتاب وهل هو نسخة واحدة، ام ان الجاحظ لدية اكثر من نسخة في الجغرافيا, كما ذكر (بروكلمان)، وما زال المحقق في هذه المرحلة يتعقب وصف الكتاب لهذه المخطوطة، ومدى صحة نسبتها الى الجاحظ، ثم بدا البحث عن المخطوطة, اذا كانت نسخته موجودة في المتحف البريطاني ومن ضمن موضوعاتها (فصل من صدر كتابه — أي الجاحظ– في الاوطان والبلدان)، مع اعطاء وصف دقيق من قبل المحقق لهذه المخطوطة، بينما كان هناك نسخة اخرى ذات موضوع جغرافي تعود للجاحظ موجودة في دار الكتب المصرية مع اعطاء وصف لها ومطابقة النسختين تبين متطابقتان، ما عدا الاختلافات قليلة ثانوية في قراءة بعض الكلمان وانه لا يستطيع الجزم فيما اذا كانت هذه الأختلافات ترجع الى الاصل ام الى النسخ وهي لا تؤثر في البحث ولما كانت نسخة المتحف البريطاني التي لديه هي مصورة، لذا اعتمد على صفحاتها في وصف المخطوط[٩]، ويضيف الدكتور العلي في مقدمته ان المخطوط الذي بين يديه لايطابق الكتاب الاصلي كله بل هو مقتطفات منه، ودليله على ذلك اعتراف الناسخ انه لم ينسخ الكتاب كاملا بل اختار من فصوله قطعا فنسخها، وكان الناسخ امينا في النسخ أي انه حافظ على عبارات الجاحظ وكلماته، وقد ادى عدم قيام الناسخ بنقل اصل الكتاب كاملا واقتصاره على نسخ مختارات من فوله الى ان تظهر اضطرابا وتباينا في اساليب البحث واتجاهاته والى غموض بعض الفصول وظهورها كالمبتورة والمقحمة ثم ذكر المحقق الدكتور العلي، ان المؤلفين نقلوا نصوصا تطابق ما في مخطوطته, وصرحوا في بعضها انها للجاحظ، وهذا يدل بشكل قاطع انه اخذوها من الجاحظ، وابرز من نقل من كتاب البلدان، هو ابن قتيبة "عيون لاخبار "، والثعالبي في "ثمار القلوب" اما الثعالبي فانه نقل

٨ -ينظر: المصدر نفسه , ص٤٤٥.
٩ – ينظر : المصدر نفسه , ص٤٤٥.

نصوصا في كتابه "ثمار القلوب"، صرح بانها للجاحظ وهي مذكورة في مخطوطة العلي. [10] اراد من كل هذا العلي ان يتاكد بشكل لا يقبل الشك ان المخطوطة تعود للجاحظ وبعد انتهى من المقدمة المطولة والتي شرح فيها كل الطرق المتبعة في عملية التحقيق للتاكد من النسخة الام او المنسوخة منها، وانتسابها الى كاتبها الاصلي، بدا العلي في الجزء الاخر من التحقيق، اذ رمز لنسخة المتحف البريطاني بالرمز (ل) ونسخة دار الكتب (ق) [11] واخذ يتحرك في الهامش مفسرا الكلمات لغويا ومترجما للاعلام والاماكن, وذاكرا اسماء سور القران الكريم وارقام الايات ومقارنا بين النسختين المذكورتين اعلاه، ثم ذاكرا المصادر التي توضح الاعلام، والاماكن، ذاكرا ما حذف من النص من كلمة او حرف، اما الاحاديث النبوية اذا ذكرت في المخطوطة فان العلي ذكر اغلب المصادر التي ورد فيها الحديث، اما عندما ذكر الجاحظ انه كتب هذا المخطوط سنة (٢٤٥هـ) في حكم بني هاشم الثاني، ذكر العلي انه يعني بني العباس.

من هذا كله نستطيع القول ان الدكتور صالح احمد العلي كان دقيقا في التحقيق مطبقا قواعده، متاكدا من عمله، بارعا فيه، اما الكتب التي حققها فهي:-

١. ابن الفقيه الهمذاني، بغداد مدينة السلام وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٧م.
٢. ابو الوفاء البوزجاني، المدخل الحفظي الى العلم الارثماطبقي, المجمع العلمي العراقي, ١٩٧٧م.
٣. البلدان، الجاحظ، مجلة كلية الاداب، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٧.
٤. الحسن بن عبد الله الاصفهاني، بلاد العرب، دار الجامعة، السعودية،١٩٦٨، حققه بالتعاون مع (حمد الجاسر).
٥. البوزجاني، ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة[12]

ومن ابرز مؤلفاته التاريخية

١. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة (١٩٥٣).
٢. محاضرات في تاريخ العرب (١٩٥٤).
٣. الاحواز في العهود الاسلامية .
٤. دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الاسلام (١٩٨٣).
٥. الخراج في العراق في العهود الاسلامية الاولى (١٩٨٦).
٦. المعالم العمرانية في مكة المكرمة في القرنين الاول والثاني هـ (١٩٨٦).
٧. امتداد العرب في صدر الاسلام (١٩٨٦).
٨. بغداد السلام (١٩٨٦).
٩. خطط البصرة ومنطلقاتها (١٩٨٦).
١٠. معالم بغداد الادارية والعمرانية (١٩٨٨).
١١. الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله (١٩٨٨).

١٠ -ينظر: المصدر نفسه , ص٤٤٨.
١١ -ينظر: د.صالح احمد العلي ,كتاب البلدان , هامش رقم ١٩٥, ص٤٦٥.
١٢ -مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية , الفائز د.صالح احمد العلي, (www.alwawqisnet.org).

١٢. دراسات في الادارة في العهود الاسلامية الاولى (١٩٨٩).
١٣. العلوم عند العرب(١٩٨٩) [١٣]

ابرز الكتب التي ترجمها:

١. خطط بغداد في ق ٥هـ (مترجم) عن جورج مقدسي.
٢. الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية (مترجم).
٣. المدينة البيزنطية (مترجم) عن ستيفن رونسيمات (١٩٨٠).
٤. تركيا الفتاة (مترجم) عن رامز اور (١٩٨٢).
٥. علم التاريخ عند المسلمين (مترجم) عن فرانز روز نثال (١٩٨٤).
٦. الاستيطان في سهول ديالى, مترجم لأدمز، (١٩٨٤).
٧. اطراف بغداد (مترجم) (١٩٨٥).

منهجه العلمي في الكتابة التاريخية:-

سعى الدكتور صالح احمد العلي في البحث التاريخي في الجزئيات والعمل على تدقيقها وضبطها الى عاملين، اولهما ان الكليات في رايه ينبغي ان تقوم على الجزئيات الصحيحة التي تكونها، وان يحسب في رسمها حساب الجزئيات التي تناقض الكليات ولا يؤديها، ذلك ان تقوم رؤيته على "ان عملية التطور التاريخي عملية واسعة فيها خطوط عامة وتيارات خاصة قد لا تسير مع الخطوط العامة، وتدقيق الجزئيات يكشف عن الخطوط العامة والخطوط الخاصة وفي الكشف، لذة نفسية باعتبارها تنمي غريزة حب الاستطلاع"!، ولاحظ ان اكثر الكتب المؤلفة في التاريخ الاسلامي قائمة على عرض جزئيات متتابعة قبلها الناس قديما وحديثا وكرروها, فاللاحق في الغالب يتبع السابق، وينقل المتأخر عن التقدم، فكانت هذه السمة اعتماد مؤرخينا في البحث، وقد قبلوا بذلك رأي الاقدم في الجزئيات على الرغم مما قد يكون فيها من مجانبة للصواب او ابتعاد عن الدقة، اما التصوير العام لمجرى الحوادث، وهو اساس الكليات، فقد اعتمد على نصوص متفرقة في القدم، نقلتها في الاغلب كتب الاداب، او على ملاحظات متفرقة ابداها بعض المحدثين، اما الكتب التي تصف (الكليات) لكل مجرى التاريخ الاسلامي، او بعض تياراته فهي قليلة جدا (مثل كتاب ارنولد عن الحضارة الاسلامية، وكتاب "هاملتون جب" عن الاسلام، ومقالة عن التاريخ الاسلامي).

وكان هدف الدكتور صالح احمد العلي النهائي: تقديم (كليات) للتاريخ الاسلامي، قائمة على جزئيات مستوعبة بتفاصيلها، وشاملة بأطرافها، لتؤدي في الاخير: صورة معتمدة للتطورات العمرانية وعلى الشكل التالي: وصف جغرافي يعكس التطور المادي من ارض وزراعة ومعادن ووصف بشري لدراسة احوال السكان وتكتلاتهم وتجمعاتهم، ثم اتجاهاتهم العامة، والصناعة والحرف والاعمال، ليستنبط منها التيار العام، ثم دراسة تطور المساهمين في الحركة الفكرية العربية الاسلامية[١٤].

١٣ -الطالب , المصدر السابق , ص٢٥٤.
١٤ -المطبعي , المصدر السابق, ص٤١.

ويؤكد العلي في منهجه العلمي والاكاديمي في كتابته التاريخية، على انه " لا يمكن رسم صورة كاملة لمختلف نواحي الحضارات، او تتبع خطوات تطورها نظرا لان معلوماتنا، لم تزل غير وافية وغير موزعة بانتظام على المكان فلدينا كمية من المعلومات طيبة نسبيا عن اليمن وبعض الدول الشمالية القديمة، وعن احوال العرب في الحجاز وبعض اجزاء نجد والبحرين عند ظهور الاسلام، لكننا نكاد نجهل تماما تاريخ المناطق الاولى"(١٥)

وقد سعى –مؤرخنا – الى بحث مبادئ الاسلام وخطوات الدعوة الاسلامية وانتشارها بتفصيل واف نسبيا نظرا لاهميتها الكبرى في كياننا الذاتي وفي تاريخ العلم، ويوضح – العلي- على ان بحثه في التاريخ لا في العقائد وانه يعتمد اعتمادا رئيسيا على القران الكريم، لانه الكتاب الاعظم الذي يرسم معالم الدين ويوضح حدوده . كما يقوم منهجه على تنظيم المادة وعرضها ثم تحليلها او محاولة ايجاد الصلة بينها وابراز ارتباطاتها مع الحوادث والمؤسسات الاخرى, واذا كانت بعض مظاهر تلك الصورة تخالف بعض ما الفه الناس، واعتقده فان ذلك راجع الى المصادر التي استيعابها واختيار ما يراه صحيحا دون ان تكون له فكرة سابقة يحاول الدفاع عنها او نقضها(١٦).

ويورد في كتاباته ما يعتقد بصحته او بانه اقرب الى الصواب ويغفل ذكر كافة الامور او الاراء والحوادث التي يعتقد ان معلوماتنا العامة وتفكيرنا ومنطق الحوادث لا يؤيد صحتها وهو ايضا يجنح دوما الى الوصف والتحليل وتجنب اصدار الحكم او قبح أي حادثة او مؤسسة كما يتحاشى مهاجمة أي مؤسسة او الدفاع عنها. (١٧)

والدكتور صالح احمد العلي يتوجه بالنقد لأساليب الكتابة التاريخية للحقب الاسلامية منطلقا من كون " اغلبية الرواة الذين نستمد منهم معلوماتنا التاريخية هم من اواخر العصر الاموي او العصر العباسي وان رواياتهم لم تصلنا كاملة، لأنها نقلت مشافهة الى ان دونت اوائل القرن الثالث الهجري، وهذه الفترة الطويلة بين الفترة التي شغل فيها الموظف ويبين زمن تدوينها تتيح مجالا للتغيير والتبديل، اللذين قد يبينان عن ميول المدون او احوال عصره، فضلا عن احتمال النسيان ما يتصل به من اختلاط واغلاط"(١٨).

ويمضي العلي في ايضاح اسباب نقده لاساليب الكتابة التاريخية للحقب الاسلامية ان الرواة المورخين الذين يعتمد عليهم هم عرب مسلمون لم يشغلوا وظائف ادراية حكومية كما ان كثيرين منهم هم من "العلماء" أي من المهتمين بالعلوم التي اهتم الناس بها في عصورهم وبخاصة الحديث والفقة،وقد كان لهذه الخصائص اثر في طبع المادة التي قدموها بطابع خاص معين فهم،بإعتبارهم عربا مسلمين،دونوا اسماء الموظفين العرب المسلمين،واهتموا باشد الوظائف اتصالا بالعرب الذين كانت لهم

١٥ –صالح احمد العلي , محاضرات في تاريخ العرب(بغداد,د.ت), ص٤.
١٦ –المصدر السابق , ص٥.
١٧ –المصدر السابق, ص ص٥–٦.
١٨ –صالح احمد العلي "موظفو بلاد الشام في العصر الاموي" مجلة ابحاث , السنة(١٩) , ج١, آذار , ١٩٦٦, ص٤٧.

تنظيمات لا يطبق بعضها على غير العرب، وبذلك ابرزوا الوظائف التي تهم العرب، وهذا يكشف عما كان يهم العرب ويتصل بهم آنذاك, ولكنه في الوقت نفسه لا يمكن اعتباره شاملا. (١٩)

ويشدد العلي في منهجه على اهمية ايلاء النصوص التاريخية الاهتمام الكافي، كونها اللبنة الاساسية لمادة علم التاريخ، وبدون النصوص لن يكتب التاريخ، الا ان هذه النصوص (بكماء وصماء) ولابد من استخدام المؤرخ فكرة لفهمها على الوجه الاصوب، وان يفهم علاقة كل نص بالنصوص الجزئية الاولى، ويقدر مدى سعة وعمق واهمية هذه العلاقة، وهو في هذا يستخدم فكره الخاص في استنباط ذلك، فاستعمال الفكر اساسي منذ المراحل الاولى للدراسة،وكتابة التاريخ لا تقتصر على تنظيم ذكر الحقائق، فهو يختلف عن جدول مواعيد القطارات، من حيث انه يعني بالاضافة الى ذكرها وتنظيمها، ببحث العلاقة بينها، وتقدير اهمية كل الجزئية عما يسبغ (الحياة)على تلك الحقائق. (٢٠)

واستطاع- مؤرخنا- في منهجه العلمي القائم على البحث الاكاديمي الممنهج الموشح بالتحليل والاستنتاج والاستنباط، وربط الاجزاء بعضها مع بعض الاخر على تكريس جهده في دراسة نواحي الحضارة والحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية،اما النواحي السياسية فقد بحثها بقدر ما يظهر امر كل تلك الدول المبحوثة ومدى امتدادها الزمني والمكاني، دون ايجاز مخل او تفصيل مضلل ولما كان سقوط أي دولة لا يعني فناء شعبها أو أندثار حضارتها، فقد حاول تتبع آثار كل دولة وتراثها، ذلك كيما يبرز الاستمرار التاريخي وتطوره، مما قد يساعد على القاء ضوء على جذور واسس كثير من افكارنا وثقافاتنا ونظمنا ومؤسساتنا. (٢١)

ويقول في هذا الصدد: " لقد حاولت اعطاء الصورة التي اعتقد ان المصادر تصورها لتلك الفترة، وإن اقصر عملي على تنظيم المادة وعرضها ثم تحليلها ومحاولة ايجاد الصلة بينها، وابرز ارتباطاتها مع الحوادث والمؤسسات الاخرى، واذا كانت بعض مظاهر هذه الصورة تخالف بعض ما الفه الناس واعتقدوه، فان ذلك راجع الى المصادر التي حاولت استيعابها واختيار ما اراه صحيحاً ، دون ان تكون لي فكرة سابقة احاول الدفاع عنها او نقضها"(٢٢).

وقد عرف العلي برصانته العلمية القائمة على ان (التاريخ لا مبالغة فيه) كما اشتهر في منهجيته للبحث العلمي التاريخي (قراءة التاريخ بالاستناد الى الوثائق الاصلية) فكان الرائد منذ سنة ١٩٥٠(ان نكتب التاريخ وننفذه ثم نملكه، فاذا امتلكناه في ضوء الخبرة الوثائقية صححنا للاجيال: قراءة التاريخ، وهي قراءة العبر من امجاده ومكاسبه ومعطياته، وهو الرائد في (اعادة كتابة التاريخ) وهو على الدوام يوصي الاجيال التي تخرجت في الجامعات، (بان لا تلهث وراء كتب التاريخ طمعا في نقل المعلومات، بل

١٩ -المصدر نفسه , ص٤٧.
٢٠ -المصدر نفسه , ص١٣٧.
٢١ -العلي محاضرات في تاريخ العرب, ص٤.
٢٢ -المصدر نفسه , ص٥.

ينبغي ان تفحص تلك الكتب وتجادلها وتجهد في اختيار الانسب)، وعلمهم ان الانسب هو الذي يقع في (العبر) بان نستخلص من الماضي العبرة في أن نكون على افضل ما نكون في الحاضر والمستقبل.

المطلب الثالث: آراءه في تاريخ المجتمع

هل المجتمع محور التاريخ ام ملحقا تاليا للاحداث التاريخية ؟، هذا السؤال يتبادر الى ذهن العديد من المعنيين بشؤون التاريخ وتحديدا تاريخ المجتمع, فيجيب عن هذا التساؤل مؤرخنا، بايضاحه ان ذلك يتطلب التوجه في دراسة تاريخ وسير الملوك وما يتصل بهم من اعمل سياسية وحربية وادارية الى دراسة المجتمع وتطور احواله، واصبح للباحث تقديرا لهذا التوجه وفكرة واضحة عن نطاقه وما يشمله، والى جانب مصادره الاضافية التي تعني بتوضيح هذا التاريخ ومحتواه، وبالنظر لصلة ذلك بالعلوم المختلفة، توسع في دراسة اسس هذه الميادين العلمين، فان الباحث بات يطلع على ما حققته هذه العلوم من تقدم، وبخاصة علوم: الانسان، والاجتماع والاقتصاد والجغرافية، وما يسمى بالعلوم المساعدة، اذ ان هذه العلوم ثبتت حقائق وتوجهات غنية وصار كثير منها يعمد على توسيع مدارك وفهم الباحث في التاريخ الاجتماعي، ويشدد- العلي – على اهمية، ان يدرك الباحث (خصوصيات) المجتمعات في مجرى مسيرتها التاريخية، وتاثير هذه الخصوصيات في الاحوال العامة التي كانت قائمة في كل زمن، وهي غير ثابتة او جامدة, كما انها باتت تختلف في تاثيراتها ومظاهرها وآثارها عن الاحوال المعاصرة التي تعني الدراسات الحديثة، وهنا ربما يتبادل الى الذهن سؤال، هل يختلف دارس (تاريخ المجتمع) عن باحث (علم الاجتماع)؟ يجيب الدكتور العلي، "نعم يختلف، من حيث ان الاول يعني بدراسة خصوصيات المجتمع وتطوره من دون دراسة القواعد العامة، التي يضعها الباحث في علوم الاجتماع والاقتصاد وغيرها"

وفي هذا الاطار ايضا يبرز تساؤل ماذا عن فاعلية المجتمع العربي ومتغيراته وخصب آراء ابنائه، واين هو التاريخ منها، وهل غيبها التاريخ؟،امام هذه المفاصل الحيوية والمواقف حيال التاريخ وموقف التاريخ منها يوضح الدكتور صالح العلي، "بان التاريخ لم يغفل العرب وحياتهم الاجتماعية باوسع نطاقها، ولم يهمل مفكروهم وعلماؤهم ملاحظتها، وتدوين كثير مما يتصل بها، ومن سمات العرب البارزة منذ اقدم العصور، الاهتمام بالانسان وما يتصل بذاته وسلوكه وتصرفاته وعلاقته مع الاخرين، ولم يكن جامدا في هذه الحياة، وانما كان يتقبل التطور تبعا لما تحيله الاحوال والظروف، وقد عزز الاسلام هذه السمات والحرص على ان تقوم على اسس سليمة، فالدعوة الاسلامية قائمة على اساسين كاملين: هما العقائد الكونية وما يتصل بالوحدانية التي ينظمها اله واحد احد، وحياة اجتماعية قائمة على اسس سليمة من انماط الفرد واصلاحه وتنظيم علاقاته بابناء المجتمع على اسس سليمة تؤمن له الاستقرار والنمو"

ومما يجزم به مؤرخنا وهو حقيقة ولا ريب، ان وحدة لغة العرب، قد ساهمت الى حد بعيد في كتابة التاريخ العربي، اذ ان العرب قد تميزوا بوحدة اللغة وبعض العقائد الدينية والنظم السياسية التي تجمعهم برابطة عامة تظل مجتمعات متنوعة في تكتلها وسماتها، من اهل البوادي من رعاة وفلاحين، من اهل الريف، وحضر من اهل بلدان ومدن يعيشون حياة حضرية بما فيها من تنوع وتشابك. والواقع ان

صعوبات المواصلات والاتصالات في القديم، ثبت استقرار كثير من المجتمعات وقلة التنقل الواسع في افرادها، وهذا الاستقرار يؤصل الاستمرار في نظم الحياة، والى احتفاظ كل مجتمع بخصوصيته الى جانب الرابطة العامة في نظام الحكم والادارة في كثير من مظاهر الحياة الفكرية.(٢٣)

ويتوقف مؤرخنا قليلا للحديث عن اهمية اللغة العربية في تشكيل العقل العربي، بوصفها ليست مجرد كلمات منطوقة وجمل مصاغة وقواعد محددة، وانما هي اوسع من ذلك، فهي وعاء المعرفة والتفكير، تكثر فيها المفردات المعبرة عن محتوى بيئتهم المادية واساليب فهمها وتقديرها. وعن اثرها في تدوين تاريخ العرب ولغتهم موغلة في القدم: "يشهد بذلك بعض الاشارات والاثار، ولكن قلة الوثائق المكتشفة لا تيسر كتابة مفصلة لاحوالهم في الازمنة القديمة، وانما يمكن ان نثبت في ذلك بعض الحقائق، واولى تلك الحقائق،ان العرب في الجزيرة احتفظوا بسماتهم العامة،ولكن تاثرهم بالاجانب ضعيفا، اذ لم يعرف دولة اجنبية, سيطرت على شبه جزيرة العرب وفرضت على اهلها لغة او نظما او افكارا عامة تخالف ما الفوه وتوارثوه, وان الغزوات الاجنبية القليلة التي تعرضت لها كانت مقصورة على بعض اطرافها من دون التوغل فيها وكانت قصيرة الامد محدودة النطاق، وان الاديان التي دخلتها وبخاصة اليهودية والنصرانية كانت محدودة الانتشار سطحية الاثر, فلم تتغلغل في نفوس غالبية السكان او تبدل سماتهم العامة، علما بان هذين الدينين ظهرا في اطراف الجزيرة وفي اقاليم لأهلها صلات عرقية وثقافية وثيقة باهل الجزيرة"(٢٤)

ويعود العلي ليتناول مكانه العقل العربي في الصياغات الفكرية واثره في معطيات الحياة والمجتمع،من كون العقل اثمن ما وهب الله الانسان به يميز البشر عن سائر الكائنات،وبه تمايز الناس فيما بينهم، انه معاير المعرفة السليمة، وأرادة التميز بين الصالح والطالح، والنافع والضار، والخير والشر اذ انه مرشد وغير ملزم، ويعتمد في اداء رسالته على مدى سلامة استخدامه في ميادين الحياة الرحبة الواسعة، والزيغ عنه والانحراف يوقع الانسان والمجتمع في وحدة التدهور المودي الى الهلاك، واذا كانت رسالته تعتمد العقل اداة لتوضيح تعاليمها وترسيخ اسسها،بهذا نادت الاديان السماوية، واولى العرب العقل التقدير اللائق به، وبحسن استخدامه حققوا منذ اقدم الازمنة الانجازات المادية والفكرية، وكان الزيغ عنه، اساس كثير مما حل بهم من نكبات وما اصيبوا به من نكسات(٢٥).

المطلب الرابع: آراءه النقدية في الدراسات التاريخية

ينطلق الدكتور صالح احمد العلي في اراءه النقدية في ما يتعلق في الدراسات التاريخية حول الحضارة العربية الاسلامية، من كون الباحث في تاريخ العراق ابان عصور ازدهار الحضارة الاسلامية، يواجه عقبات منها، قلة المراجع الشاملة التي تحدد بصورة دقيقة او تقريبية المواضيع والمعالم العمرانية التي ترد في

٢٣ -حسب الله يحيى ,"المؤرخ العراقي الاصيل د.صالح احمد العلي , حقائق التاريخ كيف ترصدها" مجلة الحكمة , العددان ٤٦-٤٧, تموز , بغداد , ٢٠٠٨-٢٠٠٩, ص١٣٥-١٣٦.

٢٤ -صالح احمد العلي واخرون , مكانة العقل في الفكر العربي, , بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي ,(بيروت, ١٩٦٦), انظر كلمة الافتتاح , ص١٤.

٢٥ - المصدر نفسه , ص٩.

الاخبار، والتي تساعد معرفتها على تيسير فهم كثير من الاحداث السياسية والعسكرية والعمرانية، من اسباب هذه قلة الكتب القديمة، التي عنيت بوصف البلدان والمعالم العراقية،واقتضاب المعلومات التي تقدمها. على ان هذا النقص، يمكن اكمال بعضه من المعلومات التي ترد في الكتب التي تبحث عن الحوادث التاريخية[٢٦].

يؤكد مؤرخنا في هذا السياق،" ان الدراسات الحالية هي محاولة لجمع وتنظيم المعلومات المتوفرة في المصادر العربية عن المعالم المعمارية، بما فيها الانهار والطرق والتجمعات السكنية ابان العهود الاسلامية الاولى التي تشمل القرون الثلاثة الاولى، من بعض الاضافات عن الاحوال المتاخرة اقتضاها مجرى البحث العامي "[٢٧].

ولا بد من الاشارة الى ان اغلبية الرواة الذين نستمد منهم معلوماتنا التاريخية– كما يرى العلماء –هم من اواخر العصر الاموي والعصر العباسي ان رواياتهم لم تصل كاملة لانها نقلت مشافهة الى ان دونت في اواخر القرن الثالث الهجري،وهذه الفترة الطويلة بين الفترة التي يشغل فيها الموظف وظيفته وبين زمن تدوينها،تتيح مجال للتغيير والتبديل اللذين قد يبينان عن ميول المدون او احوال عصره[٢٨].

ودعى مؤرخنا العلي الى الاهتمام بعصر ما قبل الاسلام، والبحث فيه هو الصق بالنطاق الاكاديمي، لذلك لا بد ان تكون الجامعات او معاهد الدراسة الاكاديمية اهم مراكزه، حيث يساهم في ذلك في الاساتذة والطلبة، ولكننا يجب ان لا نغفل الدوائر الفكرية الاخرى التي قد تهتم بالعصر الجاهلي بنفس عمق اهتمام الجامعات،وينبغي ان نتذكر ان عصر ما قبل الاسلام بالرغم من بعده عن عصرنا،واختلاف طابعه واتجاهاته عنا فان اهميته التاريخية تقليدية ولا تزال في انتاجاته عناصر من الابداع والجمال التي يمكن ان تغذي مشاعرنا وعواطفنا وتوسع افاق نظرنا وعلمنا[٢٩].

واوضح الدكتور صالح احمد العلي بان تحديد دراستنا بالزمان والمكان يمكن تحديده، ولكنه لا يزيل كافة المصاعب والعقبات التي تعترضنا، وذلك لان هذا الادب الجاهلي الذي لقي عناية ورعاية ابان العصور الاسلامية, كانت دراسته تجري على اساليب قديمة مستقرة، وظهر بجانبه دراسات تتبع اساليب جديدة،وكانت اكبر مراكز الاشعاع لها الجامعات التي انشات على نمط غربي او تاثرت به كالجامعة الامريكية ببيروت والجامعة المصرية وغيرها، ثم ان عددا من الافراد الذين درسوا في الغرب وتاثروا بطرائق بحثه وافكاره وحاولوا تطبيقها على دراسة الادب العربي في الشرق وهذا فضلا عن العدد المتزايد ممن تاثروا بصورة مباشرة او غير مباشرة بالغرب وبالافكار الحديثة في ميادين النقد والادب الحديث، واطلعوا على ما كتب عن تاريخ آداب الامم الاخرى وحاولوا احتذائها في دراسة ادابنا، فادت كل من هذه العوامل

٢٦ – صالح احمد العلي، معالم العراق العمرانية، (بغداد، ١٩٩٨), ص٥.
٢٧ – المصدر نفسه، ص٧.
٢٨ – العلي " موظفو بلاد الشام في العهد الاموي", ص٤٧.
٢٩ – صالح احمد العلي واخرون، الادب العربي في اثار الدارسين(بيروت، ١٩٦١), ص١٠.

الى يقظة فكرية واهتمام بدراسة الادب وتاريخه وخصوصا بالفترة الجاهلية، فادى ذلك الى انتاج كمية وفيرة من الكتب عنه[٣٠].

ولمؤرخنا احمد صالح العلي موقفه وتقويمه العلمي لكتابات المستشرقين, وهو لا يضعهم جميعا في خانة واحدة, بل يحدد موقفه بموجب كتاباتهم وتناولهم للتاريخ العربي الاسلامي, ويوضح ان للقرن التاسع عشر, شهد اهتماما بدراسة المخطوطات العربية وطبعها, وأخذ المستشرقون يدرسون تاريخ الشرق لذاته، متبعين الطريقة العلمية التي كانت قد قطعت شوطا كبيرا في الغرب, كما ان كثيرا منهم كانت لهم عن التاريخ نظرة جديدة، فاهتموا بدراسة نواح من حياة الرسول ﷺ يهتم لها المشارقة, ومع ان فريقا منهم لم يتقن كل ذلك, الا ان عددا غير قليل كان يتميز بسعة الاطلاع وبعد النظر وعمق التفكير، مما ساعدهم على انتاج مباحث تستثير التفكير والتقدير، ورغم انه لا يمكن القول بان احكامهم نهائية, ولعل ابرز هؤلاء الذين كتبوا عن حياة الرسول ﷺ في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ومنهم: البريطاني وليم موير، والالماني شبنكلر، وكاتيي الذي اتبع طريقة الحوليات ويورد كافة الروايات المعروفة عن كل حادثة، ثم يحللها ويستخلص منها ما يراه، وقد ظهر بعد الحرب العالمية الاولى عدد من الابحاث عن الرسول ﷺ وحياته تتميز بالاعتدال وبحسن التقدير للنواحي الروحية بالاستفادة من القران الكريم[٣١].

وقد انتقد المؤرخ العلي دعوات بعض المستشرقين وتشبيههم دعوة الرسول في مساعدة الفقراء، على انها مظهر من مظاهر الاشتراكية وانها احتجاجا على سوء توزيع الثروة، وبخاصة من قبل المستشرق كريمر (في كتابة محمد باللغة الالمانية) ومما اتخذوه من ادلة لتعزيز دعوتهم ان الصدقات ومساعدة الضعيف والفقير والحض على طعام المسكين وتحرير العبيد، وفك رقابهم، قد اكد عليها منذ اوائل ادوار الدعوة الاسلامية، وقد كان كريمر متاثر بالنظريات الاشتراكية التي سادت القرن التاسع عشر، واراد ان ينظر بهذا المنظار الى تاريخ الرسول ﷺ،وفي رايه تطرف، فمساعدة الضعيف والرفق واجب انساني ضروري ولم يتطرق الاسلام فيه ليجعله قريبا من الاشتراكية الحديثة، ويلاحظ ان الاشتراكية مذهب اقتصادي، اما الدين الاسلامي فهدفه بالدرجة الاولى روحي ديني[٣٢].

وعن اثر النهضة العربية الحديثة في الشرق على انضاج الدراسات العلمية والاسلامية، فقد امتدح كتابات محمد حسين هيكل[٣٣]الذي بدا بترجمة كتاب (محمد) لـ(در منجهيم)، باسلوب جلي جذاب، ونشر هذه الترجمة بالتتابع، وقد اثار هذا النجاح الحماس في عدد من المؤلفين امثال:طه حسين والعقاد وغيرهم في الكتابة عن حياة الرسول، كما ان الحركات الانتعاشية في العالم الاسلامي دفعت بعض الباحثين الى دراسة اعمال الرسول ﷺ بوصفه المثال الاعلى الذي نستمد منه القبس ومع تنوع

٣٠ – المصدر نفسه، ص١١.
٣١ – العلي، محاضرات في تاريخ العرب, ص٦.
٣٢ – المصدر نفسه ., ص٣٤٦.
٣٣ – وهو شاعر واديب وسياسي مصري، ولد سنة ١٨٨٨ ودرس في القاهرة وحصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة السوربون بفرنسا سنة ١٩٦٢, له انشطة سياسية ومؤلفات تاريخية وادبية وسياسية ومن اشهرها (حياة محمد) طبع سنة ١٩٣٣، توفي هيكل سنة ١٩٥٦. نقلا عن موقع(www.ar.wikipedia.org)

مواضيعهم وطرافة عرضهم وقلما تشذ عما اورده القدامى والمهم انها لم تفد افادة كافية من دراسة القران الكريم ماعدا محمد عزة دروزة. (٣٤) الذي اتخذ القران مصدرا اساسيا لدراسة عصر الرسول صلى الله عليه وآله وحياته. (٣٥)

وبحث مؤرخنا في مفهوم الصحابة في العلاقة الصميمة بين الصحابة والمدينة المنورة، واثر ذلك في توسيع اركان الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، حيث اوضح، ان بتوسع دولة الاسلام امتد تعبير (الصحابة) ليشمل كل من حادث الرسول او رآه ولو لمدة قصيرة، وقد اباح الرسول صلى الله عليه وآله لهذه الجموع الكبيرة التي اعتنقت الاسلام، وانضمت الى دولته ان يحتفظوا بتنظيماتهم ونظم حياتهم ورؤسائهم، وكانت صلتهم بدولة الاسلام تتجلى في قلوبهم المصدقين والمعلمين، غير ان تفرق اماكن سكانهم، وبعد ديار كثير منهم عن المدينة، وصعوبة وسائل المواصلات، جعل متابعة هذا الصنف من المجاهرين للحوادث التي تجري في المدينة قليلة، واثرهم في تطور الاحداث فيها ضعيفا، لذلك قضيت الاحوال بان تكون (المدينة) هي مركز اتخاذ القرارات الاساسية، ولاسيما فيما يتصل باختبار من يمارس السلطة العليا، وكان سكانها المسلمون عند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مكونين من الانصار من الاوس والخزرج، ومن المهاجرين من قريش ومن عشائر الحجاز التي هاجرت اليها واستقرت فيها(٣٦).

وناقش العلي سياسة مسيلمة في اليمامة ابان حروب الردة، وتعرض الى اشارات بعض المصادر الى تفضيل مسيلمة اهل المدر (أي الحضر) المستقرين واعتماده عليهم، باهل الوبر (أي البدو) اذ ابرز عدد من الباحثين المحدثين استقرار اليمامة، واعتقدوا بشئ من المبالغة بان هذا الاستقرار أدى الى قيام كيان متميز لاهل اليمامة يختلف عما هو سائد في غربي شبه جزيرة العرب، حيث ظهر الرسول صلى الله عليه وآله ونشر دعوته وثبت دولته في مراحلها الاولى واوضح العلي ان: "هؤلاء الباحثين بالغوا في التباين بين اليمامة وغربي الجزيرة، فان الصلة كانت وثيقة بين مكة واليمامة، واللغة العربية كانت رابطا عاما لكل اهل الجزيرة، وتجلى في تقدير الناس لمن ظهر في اليمامة من الشعراء والحكماء والبلغاء وان التمييز كان لا يقتصر على اليمامة، وانما يظهر في مناطق اخرى من الجزيرة"(٣٧) وهو يدعوا الى الاهتمام بدراسة الاسلام وتاريخ الشرق، وينبغي ان يحمل عبئه الاول اهل الشرق، فدراسته لهم ضرورة لازمة، لأنها تكشف القناع عن ذاتهم وحقيقة كيانهم، فلابد لهم السعي بجد ومثابرة وإخلاص لدراسته دراسة علمية خالصة, وتقديم ثمار هذه الدراسة الى الناس، بصرف النظر عن كيفية تقبل الناس لها، وقد حان الوقت الذي نفهم فيه

---

٣٤ – وهو مفكر وكاتب ذو اتجاه عروبي ولد في نابلس وتوفي في دمشق سنة ١٩٨٤. وكتب في التاريخ والصحافة والترجمة واهتم بالعمل السياسي والقضية الفلسطينية وترك اكثر من (٥٠ مؤلفا)في التاريخ والسياسة . نقلا عن موقع (www.ar.wikipedia.org).

٣٥ – العلي، محاضرات في تاريخ العرب,ص ٢٥٧.

٣٦ – صالح احمد العلي، الدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله، مجلد، (بغداد, ١٩٨٨)، ص٤٣٠.

٣٧ – المصدر نفسه, ص٤٣٠.

ماضينا على حقيقة تاريخنا، على ما هو، وندرسه مستهدفين فيه الصدق والحق، ولا ريب أمام مثل هذه الدراسة أن تنتج الا ما يسر كل، منصف مستقيم التفكير. [٣٨]

وكان لمؤرخنا العلي اهتماماته البحثية في موضوعات ذات مساس هام بتاريخ الحضارة العربية الاسلامية، ومنها (الخوارج) الذي يوصفهم بمجموعة من القراء لهم افكار سياسية مصطبغة بطابع ديني، فهي فرقة يجمع افرادها اساس من الافكار، وليس العصبية القبلية، ومع ان اول ظهورها كان ابان معركة صفين عندما رفضت التحكيم وابدت اراءها الشاجبة لكل من علي ومعاوية، الا انها توسعت وتطورت افكارها مع احتفاظها بتمجيد موقفها التاريخي من التحكيم وخلافة على ومعاوية واقرت حمل السلاح ضد الحكومة التي يرون انها لا تتوفر فيها الشروط.

وبمقتل علي اصبح الخليفة الاموي هو العدو البارز في نظرهم، ومع ان ارائهم السياسية عامة, الا انها اكثر تاثرا باحوال المقاتلة العرب ومعاناتهم, وكان اكثرهم من هؤلاء المقاتلة، والمدربين على القتال والمتذمرين من اوضاع تمس تطور المجتمع العربي, وظهور جماعة ذات نفوذ واهمال جماعات متزايدة من اعداد المقاتلة، ولعل تفاصيل ارائهم في نقد النظام تنسجم مع تذمرات عدد غير قليل من الناس. [٣٩].

وهو يرى بان بغداد في تاريخ الحضارة قد تبوأت مكانة متميزة تتجلى في سعة رقعتها وازدحام سكانها وفيما زخرت به من نشاط في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وازدهار في الحركة الفكرية، ومنذ اول تاسيسها كانت (حاضرة) الخلفاء العباسيين الذين اتخذوا مقامهم فيها طوال القرون الخمس التي تسلموا فيها منصب الخلافة الاسلامية، وكانوا رمز وحدة الدولة الاسلامية وشعار عزها، واقر بمكانتها المتميزة أقوى الحكام الطموحين في العالم الاسلامي، فكانوا يعملون على كسب رضى خلفائها ويتباهون بما يسبغه عليهم هؤلاء الخلفاء من الالقاب أو ما يحصلون عليه من الهدايا والهبات ويشير العلي في:"أن الفضل في عظمة بغداد وازدهار حضارتها يرجع الى نشاط أهلها وثقتهم بذاتهم ونظرتهم الانسانية العالمية، وكل هذا يتجلى في اسهاماتهم الثرة في مختلف ميادين العلم والفكر والثقافة والفنون، وكان جل اعتماد اهل بغداد في حياتهم المادية والمعاشية على ما يحيط بالمدينة، ويمتد في اطرافها من اراضي خصبة مستوية ينساب في وسطها نهر دجلة وما يتفرع منه من انهار، ويجري في غربيها نهر الفرات"[٤٠].

ويؤكد أيضا أن نمو بغداد السريع وازدهارها العظيم، لا يرجع الى مجرد طيب هوائها وكثرة خيراتها وتيسر اتصالاتها، وانما يرجع كثيرا الى الجو الذي هيأه المهيمنون على توجيه سياستها وتنظيم إداراتها من خلفاء وإداريين، ومهما كانت كثرة الوجهاء فيها, وتميز النخبة من أبنائها، فان الدور الاكبر ظل للخلفاء

٣٨ – صالح احمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري, ط٢, (بيروت, ١٩٦٩), ص٩.

٣٩ – صالح احمد العلي، اهل الفسطاط، دراسة في تركيبهم القبلي ومركز ادارتهم, (بيروت، ٢٠٠٠)، ص١١٤.

٤٠ – روبرت ماك ادمز، اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى، ترجمة صالح احمد العلي، (بغداد، ١٩٨٤), انظر التقديم، ص٣.

وكبار رجال الحكم والادارة، بما كانت لهم من مكانة متميزة، فكانوا من دعائم الاستقرار ومراكز الاشعاع فيها. (٤١)

ويمضي مؤرخنا العلي في ايراد مزايا مدينة السلام بغداد، واثرها في الحياة الفكرية والثقافية وذكر فضل اهلها وفي كل الضروب, بتأكيده على أنها، " مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم, لم يبتد بها قبلهم, ولم يسكنها ملوك سواهم, ثم هي في وسط الدنيا, حسنت أخلاق اهلها ونظرة وجوههم وإنفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر, والتمييز والتجارات والصناعات والكسب والحذق بكل مناظرة, وأحكام كل مهنة، وإتقان كل صناعة، فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أروى من راويهم، ولا أحذق من مغنيهم, ولا الطف من صانعهم, ولا اكتب من كاتبهم، ولا أبين من خطيبهم، ولا أعبد من عابدهم ولا اروع من زاهدهم، ولا افقه من حاكمهم"(٤٢).

ويركز الدكتور صالح احمد العلي على دور بغداد العلمي كونها قبلة العلماء في رفد عموم الحضارة العربية الاسلامية بالعلم والعلماء، والنتاجات العلمية في شتى المعرف، ودعم الخلفاء العباسيين للعلماء وإعطائهم مكانتهم المرموقة وإعلاء شأنهم، اذ أشار الى ان بغداد ومنذ تاسيسها حظي العلم فيها برعاية خاصة أولادها الخليفة ورجال حاشيته ثم اهل بغداد، فاخذ العلماء محبو العلم يتقاطرون اليها من مختلف أرجاء الدولة، فجاءها العلماء من المدينة المنورة والكوفة والبصرة، كما جائها علماء من نيسابور, ومن الهند ليعرضوا معارفهم فيزيدوا, وأنموا حركة فكرية متعددة الجوانب، رحبة الآفاق، عميقة الاراء، حرة مفتوحة للجميع، هدفها الفكرة دون المال، والكلمة دون المادة، تعمل ضمن اطار العروبة والاسلام، في افق رحب من الانسانية العالمية في جزئياتها وكلياتها، دون الانحصار من الاقليمية الضيقة . (٤٣)

ونبه مؤرخنا الدكتور صالح احمد العلي الباحثين المهتمين بالتاريخ الاسلامي الى ضرورة دراسة القرن الاول الهجري، لما له من اهمية خاصة في مجرى التاريخ الاسلامي، ففيه حدث الاحتكاك والتصادم بين حضارة عرب الجزيرة ومبادئ الاسلام، وبين الحضارة المدنية الاعجمية التي كانت قائمة في الشرق الاوسط، وقد نتج عن ذلك التصادم إمتزاج بين الحضارات، تجلى في ما نراه في العصر العباسي من حضارات اسلامية منسجمة، سادت الشرق الاوسط عصورا طويلة وتقبلها الناس عن رضى، فكيفوا حياتهم على مبادئها، فدراسة هذه الفترة تعطينا صورة لما مر به الاقدمون من احوال اصطدام الحضارات، وما واجهوه من مشاكل، وما ارتأوه من حلول كما أن كثيرا من عقائدنا السياسية والدينية والفكرية قد نبتت واستقرت جذورها في تلك الفترة. (٤٤)

وحول سؤال هل أن جزيرة العرب كانت مقصورة في سكانها على العرب؟ اوضح الدكتور صالح احمد العلي, بأن الجزيرة العربية، قد دخلها بعض الاغراب، وخصوصا في اطرافها وقرب سواحلها، وتوغل

٤١ – صالح احمد العلي، معالم بغداد الادارية والعمرانية (بغداد، ١٩٨٨)، ص٥.
٤٢ – صالح احمد العلي ، بغداد مدينة السلام، (بغداد، ١٩٨٨)، ص٣.
٤٣ – المصدر نفسه، ص٢.
٤٤ – العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص٩.

بعضهم الى داخلها، وكان من هؤلاء الدخلاء رجال الاعمال والتجار وبعض اهل الديانات الذين وجدوا فيها ملجأ لهم، أو ميدانا لنشر دياناتهم، غير ان الدخلاء عددهم قليل –كما يؤكد العلي– وهو يتباينون في ثقافاتهم وأحوالهم، وآثارهم في التكوين البشري أو الافكار المحددة على الرغم أنهم لم يلقوا مقاومة أو اضطهادا إلا من منهم بسط نفوذه السياسي. [٤٥]

ويتناول الدكتور أحمد صالح العلي، موضوعا في غاية الاهمية في العراق خلال العصور الاسلامية الاولى, وهو الخراج، لما له علاقة وارتباط وثيق بتنمية قدرات البلد اقتصاديا وماليا, وقد عده المصدر الاساسي الاكبر لموارد الدولة، وقد جعله متصلا بأمور أخرى ذات سمات خاصة واهمية خاصة كملكية الاراضي, وأنواع المزروعات وأساليب زراعتها والارواء واعمار الاراضي والايدي العاملة واداراتها، وأمور التسويق والاسعار, فضلا عن ما يتطلبه من تنظيمات تضعها الدولة لتحديد مقداره وطرق جبايته, وتنظيم موارده، واعداد من يقوم بالجباية وتنظيم السجلات واخيرا اثره في الادارة العامة وسياسة الدولة. [٤٦]

واللغة العربية لدى مؤرخنا الدكتور صالح احمد العلي، ليست مجرد كلمات وتراكيب شكلية, وانما هي تعبر عن الاحاسيس والافكار، وهي بذلك مصدر اساسي يساعد في معرفة نطاق الفكر وجوانب نموه والمرتكز الرئيسي لدراسة تطورها هو التدوين، ومن ابرز انجازات العرب الفكرية في الماضي السحيق هو اختراعهم الكتابات الهجائية التي يعبر عن كل صوت فيها حرف له شكله الخاص، وقدر الناس اهميتها، وقد اشار القران الكريم، وهو اكبر كتاب وصلنا بنصه كاملا غير محرف الى التسطير, بمعنى التدوين. [٤٧]

قائمة المصادر

١. حسب الله يحيى، "المؤرخ العراقي الاصيل د.صالح احمد العلي، حقائق التاريخ كيف ترصدها " مجلة الحكمة العددان ٤٦-٤٧, تموز، بغداد، ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
٢. حميد المطبعي، المؤرخ صالح احمد العلي، سلسلة علماء الحكمة، (بغداد, ٢٠٠٢).
٣. د. صالح احمد العلي، مقدمة المحقق لكتاب البلدان، لعمر بن بحر الجاحظ، مجلة الاداب، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠.
٤. الدكتور صالح العلي، كتاب البلدان، هامش رقم ١٩٥.
٥. روبرت ماك ادمز، اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى، ترجمة صالح احمد العلي، (بغداد، ١٩٨٤), انظر التقديم.
٦. صالح احمد العلي، " موظفوا بلاد الشام في العصر الاموي" مجلة ابحاث، السنة (١٩), ج١، اذار، ١٩٦٦.
٧. صالح احمد العلي واخرون، اشكالية العلاقات الثقافية مع الغرب، (بيروت، ١٩٩٧) .

٤٥ – صالح احمد العلي واخرون، اشكالية العلاقات الثقافية مع الغرب، (بيروت, ١٩٩٧), ص١١-١٢.
٤٦ – صالح احمد العلي، الخراج في العراق، في العهود الاسلامية الاولى، (بغداد, ١٩٩٠) ص٣.
٤٧ – العلي، اشكالية العراق الثقافية مع الغرب، ص٩-١٠.

٨. صالح احمد العلي واخرون، الادب العربي في اثار الدارسين، (بيروت، ١٩٦١).
٩. صالح احمد العلي واخرون، مكانة العقل في الفكر العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، (بيروت، ١٩٩٢) انظر كلمة الافتتاح.
١٠. صالح احمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، ط٢، (بيروت، ١٩٦٩).
١١. صالح احمد العلي، الخراج في العراق في العهود الاسلامية الاولى، (بغداد، ١٩٩٠).
١٢. صالح احمد العلي، الدولة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله، مجلد (بغداد، ١٩٨٨) .
١٣. صالح احمد العلي، اهل الفسطاط، دراسة في تركيبهم القبلي ومراكز اداراتهم، (بغداد, ١٩٨٨).
١٤. صالح احمد العلي، بغداد مدينة السلام (بغداد، ١٩٨٨).
١٥. صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، (بغداد، د.ت).
١٦. صالح احمد العلي، معالم العراق العمرانية، (بغداد، ١٩٩٨).
١٧. صالح احمد العلي، معالم بغداد الادارية والعمرانية، (بغداد، ١٩٨٨).
١٨. صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، ط٧, بيروت، ١٩٨٧.
١٩. عمر الطالب، موسوعة اعلام الموصل في القرن العشرين، اصدار مركز دراسات الموصل, (الموصل، ٢٠٠٨).
٢٠. مؤسسة السلطان بن علي العويس الثقافية، الفائز الدكتور صالح احمد العلي (wwwalawqisnet.org).
٢١. ناصر عبد الرزاق الملة جاسم، المؤرخ صالح احمد العلي، رحلة تاسيس لمنهج اكاديمي لدراسة التاريخ العربي, (بيروت، ٢٠١٠).
٢٢. (www.ar.wikipedia.org).